﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن
دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ
تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ
ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

يخاطب الحق جل جلاله اليهود ليفضحهم لأنهم طبقوا من التوراة ماكان على هواهم .. ولم يطبقوا مالم يعجبهم ويقول لهم : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » . إنه يذكرهم بأنهم وافقوا على الميثاق وأقروه .

ولقد نزلت هذه الآية عندما زنت امرأة يهودية وأرادوا ألا يقيموا عليها الحد بالرجم .. فقالوا نذهب إلى محمد ظانين انه سيعفيهم من الحد الموجود فى كتابهم .. أو أنه لا يعلم ما فى كتابهم .. فلما ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم هذا الحكم موجود عندكم فى التوراة .. قالوا عندنا فى التوراة أن نلطخ وجه الزانى والزانية بالقذارة ونطوف به على الناس .. قال لهم رسول الله لا .. عندكم آية الرجم موجودة فى التوراة فانصرفوا .. فكأنهم حين يحسبون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخفف حدا من حدود الله .. يذهبون إليه ليستفتوه .

والحق سبحانه وتعالى يقول : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » .. أى بعد أن أخذ عليكم الميثاق ألا تفعلوا .. تقتلون أنفسكم .. يقتل بعضكم بعضا ، أو أن من قتل سيقتل . فكأنه هو الذى قتل نفسه .. والحق سبحانه قال : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » .. لماذا جاء بكلمة هؤلاء هذه ؟ لأنها إشارة للتنبيه لكى نلتفت إلى الحكم .

وقوله تعالى : « وتخرجون فريقا منكم من ديارهم » وحذرهم بقوله : « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » .. وجاء هذا فى الميثاق . ما هو الحكم الذى

يريد الحق تبارك وتعالى أن يلفتنا إليه ؟ نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجر إلى المدينة إنتقل من دار شرك إلى دار إيمان . . ومعنى دار إيمان أن هناك مؤمنين سبقوا . . فهناك من آمن من أهل المدينة . . لقد هاجر المسلمون قبل ذلك إلى الحبشة ولكنها كانت هجرة إلى دار أمن وليست دار إيمان . . ولكن حين حدثت بيعة العقبة وجاء جماعة من المدينة وعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به . . أرسل معهم الرسول مصعب بن عمير ليعلمهم دينهم . . وجاءت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام على خميرة إيمانية موجودة . . لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أفسد على اليهود خطة حياتهم . . فاليهود كانوا ممثلين فى بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة . . وكان هناك فى المدينة الأوس والخزرج . . وبينهما حروب دائمة قبل أن يأتى الإسلام . . فاليهود قسموا أنفسهم إلى قوم مع الأوس وقوم مع الخزرج حتى يضمنوا إستمرار العداوة . . فكلما هدأ القتال أهاجوا أحد المعسكرين على الآخر ليعود القتال من جديد . . وهم كذلك حتى الآن وهذه طبيعتهم .

إن الذى صنع الشيوعية يهودى ، والذى صنع الرأسمالية يهودى . . والذى يحرك العداوة بين المعسكرين يهودى . . وكان بنو النضير وبنو قينقاع مع الخزرج وبنو قريظة مع الأوس . . فإذا إشتبك الأوس والخزرج كان مع كل منهم حلفاؤه من اليهود . عندما تنتهى المعركة ماذا كان يحدث ؟ إن المأسورين من بنى النضير وبنى قينقاع يقوم بنو قريظة بالمساعدة فى فك أسرهم . . مع انهم هم المتسببون فى هذا الأسر . . فاذا إنتصرت الأوس وأخذوا أسرى من الخزرج ومن حلفائهم اليهود . . يأتى اليهود ويعملون على إطلاق سراح الأسرى اليهود . . لأن عندهم نصًا انه إذا وجد أسير من بنى إسرائيل فلابد من فك أسره .

والحق سبحانه وتعالى يقول لهم إن أعمالكم فى أن يحارب بعضكم بعضا وأن تسفكوا دماءكم . . لا تتفق مع الميثاق الذى أخذه الله عليكم بل هى مصالح دنيوية . . تقتلون أنفسكم والله نهاكم عن هذا : « وتخرجون فريقا منكم من ديارهم » والله نهاكم عن هذا : « تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم » . . وهذا ما كان يحدث فى المدينة فى الحروب بين الأوس والخزرج كما بينا . . والأسارى جمع أسير وهى على غير قياسها ، لأن القياس فيها أسرى . . ولذلك نرى فى آية أخرى أنه يأتى قول الله

سبحانه وتعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾

(من الآية ٦٧ سورة الأنفال)

ولكن القرآن أتى بها أسارى . . واللغة أحيانا تأتى على غير ما يقتضيه قياسها لتلفتك إلى معنى من المعانى . . فكسلان تجمع كسالى . والكسلان هو هابط الحركة . . الأسير أيضا أنت قيدت حركته . . فكأن جمع أسير على أسارى إشارة إلى تقييد الحركة . . القرآن الكريم جاء بأسارى وأسرى . . ولكنه حين استخدم أسارى أراد أن يلفتنا إلى تقييد الحركة مثل كسالى . . ومعنى وجود الأسرى أن حربا وقعت . . الحرب تقتضى الالتقاء والالتحام . . ويكون كل واحد منهم يريد أن يقتل عدوه .

كلمة الأسر هذه أخذت من أجل تهدئة سعار اللقاء . . فكأن الله أراد أن يحمى القوم من شراسة نفوسهم وقت الحرب فقال لهم إستأسروهم . . لا تقتلوهم إلا إذا كنتم مضطرين للقتل . . ولكن خذوهم أسرى وفى هذا مصلحة لكم لأنكم ستأخذون منهم الفدية . . وهذا تشريع من ضمن تشريعات الرحمة . . لأنه لو لم يكن الأسر مباحا . . لكان لابد إذا إلتقى مقاتلان أن يقتل أحدهما الآخر . . لذلك يقال خذه أسيرا إلا إذا كان وجوده خطرًا على حياتك .

وقول الحق تبارك وتعالى : « وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم » . . كانت كل طائفة من اليهود مع حليفتها من الأوس أو الخزرج . . وكانت تخرج المغلوب من دياره وتأخذ الديار . . وبعد أن تنتهى الحرب يفادوهم . . أى يأخذون منهم الفدية ليعيدوا إليهم ديارهم وأولادهم .

لماذا يقسم اليهود أنفسهم هذه القسمة . . إنها ليست تقسيمة إيمانية ولكنها تقسيمة مصلحة دنيوية . . لماذا ؟ لأنه ليس من المعقول وأنتم أهل كتاب . . ثم تقسمون أنفسكم قسما مع الأوس وقسما مع الخزرج . . ويكون بينكم إثم وعدوان .

وقوله تعالى : « تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » . . تظاهرون عليهم . أى

تعاونون عليهم وأنتم أهل دين واحد : « بالإثم » .. والإثم هو الشيء الخبيث الذى يستحى منه الناس : « والعدوان » .. أى التعدى بشراسة .. وقوله تعالى : « وأن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم » .. إى تخرجوهم من ديارهم وتأخذوا الفدية لترجعوها إليهم .

ثم يقول الله تبارك وتعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .. أى تأخذون القضية على أساس المصلحة الدنيوية .. وتقسمون أنفسكم مع الأوس أو الخزرج .. تفعلون ذلك وأنتم مؤمنون بإله ورسول وكتاب .. مستحيل أن يكون دينكم أو نبيكم قد أمركم بهذا .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :« فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاخزى فى الحياة الدنيا » أى إنكم فعلتم ذلك وخالفتم لتصلوا إلى مجد دنيوى ولكنكم لم تصلوا إليه .. سيصيبكم الله بخزى فى الدنيا .. أى أن الجزاء لن يتأخر إلى الآخرة بل سيأتيكم خزى وهو الهوان والذل فى الدنيا .. وماذا فى الآخرة ؟ يقول الله تعالى : « ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب » الخزى فى الدنيا أصابهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .. وأخرج بنو قينقاع من ديارهم فى المدينة .. كذلك ذبح بنو قريظة بعد أن خانوا العهد وخانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين .. وهكذا لا يؤخر الله سبحانه وتعالى جزاء بعض الذنوب إلى الآخرة .. وجزاء الظلم فى الدنيا لايؤجل إلى الآخرة ، لأن المظلوم لابد أن يرى مصرع ظالميه حتى يعتدل نظام الكون .. ويعرف الناس أن الله موجود وأنه سبحانه لكل ظالم بالمرصاد .. اليهود أتاهم خزى الدنيا سريعا : « يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب » .

قد يتساءل الناس ألا يكفيهم الخزى فى الدنيا عن عذاب الآخرة ؟ نقول لا .. لأن الخزى لم ينلهم فى الدنيا حدا .. ولم يكن نتيجة إقامة حدود الله عليهم .. فالخزى حين ينال الإنسان كحد من حدود الله يعفيه من عذاب الآخرة .. فالذى سرق وقطعت يده والذى زنا ورجم .. هؤلاء نالهم عذاب من حدود الله فلا يحاسبون فى الآخرة .. أما الظالمون فالأمر يختلف .. لذلك فإننا نجد إناسا من الذين ارتكبوا إثما فى الدنيا يلحون على إقامة الحد عليهم لينجوا من عذاب الآخرة .. مع انه لم يرهم أحد أو يعلم بهم أحد أو يشهد عليهم أحد ..

حتى لا يأتى واحد ليقول : لماذا لا يعفى الظالمون الذين أصابهم خزى فى الدنيا من عذاب الآخرة ؟ نقول إنهم فى خزى الدنيا لم يحاسبوا عن جرائمهم . . أصابهم ضر وعذاب . . ولكن أشد العذاب ينتظرهم فى الآخرة . . وما أهون عذاب الدنيا الذى هو بقدرة البشر بالنسبة لعذاب الآخرة الذى هو بقدرة الله سبحانه وتعالى ، كما أن هذه الدنيا تنتهى فيها حياة الإنسان بالموت ، أما الآخرة فلا موت فيها بل خلود فى العذاب .

ثم يقول الحق جل جلاله : « وما الله بغافل عما تعملون » . . أى لا تحسب ان الله سبحانه وتعالى يغفل عن شيء فى كونه فهو لا تأخذه سنة نوم . . وهو بكل شيء محيط .



﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ ﴾

ويذكر لنا الله سبحانه وتعالى سبب خيبة هؤلاء وضلالهم لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة .. جعلوا الآخرة ثمنا لنزواتهم ونفوذهم فى الدنيا .. هم نظروا إلى الدنيا فقط .. ونظرة الإنسان إلى الدنيا ومقارنتها بالآخرة تجعلك تطلب فى كل ما تفعله ثواب الآخرة .. فالدنيا عمرك فيها محدود .. ولا تقل عمر الدنيا مليون أو مليونان أو ثلاثة ملايين سنة .. عمر الدنيا بالنسبة لك هو مدة بقائك فيها .. فإذا خرجت من الدنيا انتهت بالنسبة لك .. والخروج من الدنيا بالموت .. والموت لا أسباب له ولذلك فإن الإسلام لا يجعل الدنيا هدفا لأن عمرنا فيها مظنون .. هناك من يموت فى بطن أمه .. ومن يعيش ساعة أو ساعات ، ومن يعيش إلى أرذل العمر .. إذن فاتجه إلى الآخرة ، ففيها النعيم الدائم والحياة بلا موت والمتعة على قدرات الله .. ولكن خيبة هؤلاء أنهم إشتروا الدنيا بالآخرة .. ولذلك يقول الحق عنهم : « فلا يخفف عنم العذاب ولا هم ينصرون » .. لا يخفف عنهم العذاب أى يجب ألا يأمنوا أن العذاب فى الآخرة سيخفف عنهم .. او ستقل درجته أو تنقص مدته .. أو سيأتى يوما ولا يأتى يوما وقوله : « ولا هم ينصرون » .. النصرة تأتى على معنيين .تأتى بمعنى انه لا يغلب .. وتأتى بمعنى أن هناك قوة تنتصر له أى تنصره .. كونه يغلب .. الله سبحانه وتعالى غالب على أمره فلا أحد يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .. ولكن الله يملك النفع والضر لكل خلقه .. ويملك تبارك وتعالى أن يقهر خلقه على ما يشاء .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾

(من الآية ١٨٨ سورة الأعراف)

أما مسألة أن ينصره أحد .. فمن الذى يستطيع أن ينصر أحدا من الله .. واقرأ قوله سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام :

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾

(من الآية ٣٠ سورة هود)

يقول الحق سبحانه وتعالى : « فلا يخفف عنهم العذاب » .. أمر لم يقع بعد بل سيقع مستقبلا .. يتحدث الله سبحانه وتعالى عنه بلهجة المضارع .. نقول إن كل أحداث الكون وما سيقع منها هو عند الله تم وانتهى وقضى فيه .. لذلك نجد فى القرآن الكريم قوله سبحانه :

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

(من الآية ١ سورة النحل)

أتى فعل ماض .. ولا تستعجلوه مستقبل .. كيف يقول الله سبحانه وتعالى أتى ثم يقول لا تستعجلوه ؟ إنه مستقبل بالنسبة لنا .. أما بالنسبة لله تبارك وتعالى فمادام قد قال أتى .. فمعنى ذلك أنه حدث .. فلا أحد يملك أن يمنع أمرا من أمور الله من الحدوث .. فالعذاب آت لهم آت .. ولا يخفف عنهم لأن أحدا لا يملك تخفيفه .



﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

بعد أن بينَّ الحق سبحانه وتعالى لنا ما فعله اليهود مع نبيهم موسى عليه السلام . . أراد أن يبين لنا ما فعله بنو إسرائيل بعد نبيهم موسى . . وأراد أن يبين لنا موقفهم من رسول جاءهم منهم . . ولقد جاء لبنى إسرائيل رسل كثيرون لأن مخالفاتهم للمنهج كانت كثيرة . . ولكن الآيةَ الكريمة ذكرت عيسى عليه السلام . . لأن الديانتين الكبيرتين اللتين سبقتا الإسلام هما اليهودية والنصرانية . . ولكن لابد أن نعرف أنه قبل مجىء عيسى . . وبين رسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام رسل كثيرون . . منهم داود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم . . فكأنه فى كل فترة كان بنو إسرائيل يبتعدون عن الدين . . ويرتكبون المخالفات وتنتشر بينهم المعصية . . فيرسل اللهُ رسولاً يعدل ميزانَ حركة حياتهم . . ومع ذلك يعودون مرة أخرى إلى معصيتهم وفسقهم . . فيبعث اللهُ رسولاً جديدًا . . ليزيل الباطل وهوى النفس من المجتمع ويطبق شرع الله . . ولكنهم بعده يعودون مرة أخرى إلى المعصية والكفر .

وقال اللهُ سبحانه وتعالى : « ولقد أتينا موسى الكتابَ » والقائلُ هو اللهُ جل جلاله . . والكتابُ هو التوراةُ : « وقفينا من بعده بالرسلِ » . . واللهُ تبارك وتعالى بين لنا موقفَ بنى إسرائيل من موسى . . وموقفَهُم من رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين . . ولكنه لم يبين لنا موقفَهُم من الرسلِ الذين جاءوا بعد موسى حتى عيسى ابن مريم .

الحقُّ سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا . . إلى أنه لم يترك الأمر لبنى إسرائيل بعد موسى . . أن يعملوا بالكتاب الذى أرسل معه فقط . . ولكنه أتبع ذلك بالرسل . . حين تسمع « قفينا » . . أى اتبعنا بعضهم بعضا . . كل يخلف الذى سبقه. « وقفينا »